الفصل العاشر

الصحافة العربية في القدس

عبد القادر ياسين

اقترن ظهور الصحافة في فلسطين بالتطور الاقتصادي، الاجتماعي، السياسي في هذه البلاد، خاصة مع دخول الصناعة إليها، في الربع الأخير من القرن التاسع عشر. بالتساوق مع رغبة الرأسمالية الوليدة في إيصال الأفكار الوطنية إلى الشعب، مستعينة بوسائل اتصال جماعية جديدة[١].

صحف العهد العثماني

لقد كان طبيعيًا أن يتَركز إصدار تلك الصحف في القدس، إبان العهد العثماني، لموقعها الديني المتميز، فضلًا على تميُّزها الإداري، فهي متصرفية، وليست تابعة لولاية من الولايات العثمانية. ومن بين أربعين صحيفة عربية صدرت في فلسطين ما بين سنتي ١٩٠٣، و١٩١٦، فإن ٢٣ منها صدرت في القدس وحدها، وستًّا في مدينة حيفا، وثماني صحف في يافا، وصحيفة واحدة في بئر السبع. قبل أن تنتقل صحيفة واحدة من القدس إلى حيفا، هي «النفير»، لصاحبها ورئيس تحريرها إيليا زكا، فيما انتقلت صحيفة واحدة من القدس إلى يافا، وهي «الاعتدال»، وصاحب امتيازها بكري السمهوري، وهو رئيس تحريرها في الوقت نفسه[٢].

لقد استيقظت السلطة العثمانية على هذا العدد من الصحف، فنشطت الغدة التشريعية العثمانية في استصدار القوانين، حتى منذ وصول المطابع إلى البلاد، حيث صدر «قانون المطابع» في سنة ١٨٦٥، الذي تعزز سنة ١٨٨٠، وتشدد بعد تسع سنوات أخرى. إلى أن صدر « قانون المطبوعات العثماني» سنة ١٩٠٩، الذي تعامل مع «كيفية النشر»، و«العقوبات»، و"القدح والإهانة»، وتم التضييق في «قانون المطبوعات» سنة ١٩١٢، قبل أن يصدر مرسوم حول جرائم الطباعة[٣].

اتسمت الصحف العربية الصادرة في القدس، آنذاك، بالمظهر الخشن، وقلة الخبرة في المحتوى والشكل، وبالإطناب في الأسلوب، على حد سواء، كما أغرق أغلب تلك الصحف في القدح والطعن، ولم تكن الصحافة توفر دخلًا للمشتغل فيها، الذي كان عليه أن يدبر له وظيفة أخرى يتعيش منها، ومع ذلك نجحت صحف العهد العثماني العربية، مقدسية وغير مقدسية، في التحذير من الخطر الصهيوني على البلاد[٤].

استكملت القوات البريطانية احتلالها فلسطين سنة ١٩١٨، واقتطعتها من الجسم السوري الكبير، وحصلت على انتداب بريطاني عليها، أولًا من مؤتمر سان ريمو (يوليو/ تموز ١٩٢٠)، الأمر الذي صادقت عليه «عصبة الأمم» بعد سنتين. وامتدت المرحلة الأولى من عمر الحركة الوطنية الفلسطينية اثني عشر عامًا متصلة، اتصفت فيها تلك الحركة باحتكار كبار الملاك لقيادتها، وسيادة فكرهم، وأساليب الكفاح المتواضعة، التي فرضوها على الجماهير العربية الفلسطينية (عريضة/ مؤتمر/ وفد إلى لندن، وآخر إلى المندوب السامي البريطاني في القدس)، والاحتكام للانتداب في الصراع العربي ـ اليهودي.

صدرت في فلسطين، في تلك المرحلة، خمسون صحيفة، خص منها القدس سبع وعشرون صحيفة، ويافا ثماني صحف، وحيفا اثنتا عشرة صحيفة، فيما كانت صحيفة واحدة تابعة لسلطات الانتداب البريطاني، فضلًا على صحيفتين تبشيريتين («أورشليم جديدة»، و«القدس الجديدة»)[٥]، على النحو الذي يبينه الجدول رقم (١).

* * *

الجدول رقم (١)

الصحف العربية الصادرة في القدس في العهد العثماني

اسم الصحيفة	صاحب الامتياز	رئيس التحرير	تاريخ صدور العدد الأول	دوريتها وطبيعتها
الأصمعي	حنا عبد الله عيسى	حنا عبد الله عيسى	١٩٠٨/٩/١	شهرية أدبية
القدس	جورجي حبيب حنانيا	جورجي حبيب حنانيا	١٩٠٨/٩/٨	سياسية نصف أسبوعية
النفائس	خليل بيدس	خليل بيدس	١٩٠٨/١١/١	أسبوعية أدبية
بشير فلسطين	أطناسبوس تيوفيلو باندازي	ـــــ	١٩٠٨/١٢/٥	أسبوعية دينية
الإنصاف	بندلي إلياس مشحور	بندلي إلياس مشحور	١٩٠٨/١٢/٢٣	نصف أسبوعية منوعة
النجاح	علي أحمد الرياوي	علي أحمد الرياوي	١٩٠٨/١٢/٢٤	أسبوعية
بالستين	الأب ماكلسباكس	الأب خريستو ستومس	١٩٠٨	أسبوعية دينية
صهيون الجديدة	بطريركية الروم الأرثوزكس	ياكوبوس كبنكاس	١٩٠٨	شهرية دينية
منبّه الأموات	ـــــ	ـــــ	١٩٠٨	شهرية دينية
النفير	إيليا زكا	إيليا زكا	١٩٠٨ القدس ثم حيفا	أسبوعية سياسية
الاعتدال	بكري السمهوري	بكري السمهوري	١٩١٠/٥/١	أسبوعية سياسية
الحرية	توفيق السمهوري	توفيق السمهوري	١٩١٠/٦/٢٠	أسبوعية سياسية

الدستور	المدرسة الدستورية	خليل السكاكيني ثم جميل الخالدي	٦/ ١٢/ ١٩١٠	أسبوعية أدبية منوعة
المنادي	سعيد جار الله	سعيد جار الله	٨/ ١٢/ ١٩١٠	أسبوعية منوعة
المنهل	جميل رمضان	جميل رمضان	٥/ ٨/ ١٩١٣	شهرية أدبية

المصدر: الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الرابع، ١٩٩٠ (انظر: عبد القادر ياسين، الصحافة العربية في فلسطين، ص ٤٣١، ٤٣٢).

صحف المرحلة الأولى

من بين الصحف الست التي كانت تصدر في العهد العثماني، وعاودت الصدور تحت الاحتلال البريطاني، ثمة صحيفتان صدرتا في القدس ثانية، هي: النفائس العصرية، وبيت المقدس. فيما عاودت «النفير» الصدور في حيفا، و«فلسطين»، و«الأخبار» في مدينة يافا[٦]، على النحو الذي يبينه الجدول رقم (٢).

الجدول رقم (٢)

الصحف العربية الصادرة بالقدس خلال المرحلة الأولى من الحركة الوطنية

اسم الصحيفة	صاحب الامتياز	رئيس التحرير	تاريخ صدور العدد الأول	دوريتها وطبيعتها
سورية الجنوبية	عارف عارف ومحمد حسن البدري	عارف العارف ومحمد حسن البدري	٨/ ٩/ ١٩١٩	أسبوعية سياسية
مرآة الشرق	بولس شحادة	بولس شحادة	١٧/ ٩/ ١٩١٩	نصف أسبوعية سياسية
بيت المقدس	بندلي إلياس مشحور	بندلي إلياس مشحور	٢٦/ ١٢/ ١٩١٩	نصف أسبوعية سياسية
القدس الشريف	حسن صدقي الدجاني	حسن صدقي الدجاني	١٣/ ٤/ ١٩٢٠	أسبوعية سياسية
الأقصى	صالح عبد اللطيف الحسيني	صالح عبد اللطيف الحسيني	٦/ ٩/ ١٩٢٠	أسبوعية سياسية
يوم الرب	إسبر ضومط	إسبر ضومط	٢٨/ ١١/ ١٩٢٠	شهرية دينية

رقيب صهيون	بطريركية اللاتين	بولس سمعاني	١٥/ ١/ ١٩٢١	شهرية دينية
لسان العرب	إبراهيم سليم النجار	إبراهيم سليم النجار	٢٤/ ٦/ ١٩٢١	يومية سياسية
الصباح	محمد كامل البديري	محمد كامل البديري	١٩٢١	أسبوعية سياسية
أورشليم جديدة	و.و. كاتلنج	و.و. كاتلنج	١/ ١١/ ١٩٢١	شهرية دينية
الأخبار الكنسية	المجمع الكنسي للطائفة الإنجيلية	إلياس مرموره	١/ ١/ ١٩٢٤	شهرية دينية
الزنبقة	كشافة القديس جاورجيوس	ـــــ	١٨/ ٥/ ١٩٢٤	شهرية دينية
الروايات الأهلية	مكتبة ومطبعة بيت المقدس	بندلي إلياس مشحور	١٩٢٤	أدبية شهرية
الكرمة المصورة	واصف يوسف	واصف يوسف	١٠/ ١/ ١٩٢٦	ـــــ
الإعلان	ميشيل سليم النجار	ميشيل سليم النجار	٢٣/ ٩/ ١٩٢٦	إعلانية
الجامعة العربية	منيف الحسيني	منيف الحسيني وطاهر الفتياني	٢٠/ ١/ ١٩٢٧	أسبوعية سياسية
الصفير	جمعية الكردنيال فراري وكلية تراسانطة	ـــــ	٢٢/ ٥/ ١٩٢٧	شهرية دينية
إلى الأمام	الحزب الشيوعي الفلسطيني	ـــــ	١٩٢٨	سياسية غير دورية
المعاد	ميشيل سليم النجار	ميشيل سليم النجار	١٨/ ٩/ ١٩٢٨	أسبوعية سياسية

بهبّة البراق(*) صيف ١٩٢٩ انتهت مرحلة وبدأت أخرى في حياة الحركة الوطنية الفلسطينية، اتسمت باعتماد الاستعمار البريطاني «أس البلاء»، والصهيونية مجرد ذيل له، وحلّت أشكال صدامية من الكفاح محل الأساليب السلبية المتواضعة. وارتفع منسوب إصدار الصحف، بالتوازي مع صعود الحركة الوطنية، واستحدثت سلطات الانتداب أساليب قمعية في مواجهة الصعودين معًا.

(*) هبّة البراق: تراكمت أسباب الاحتقان الشعبي العربي الفلسطيني، فعدا عن الاحتلال، في حد ذاته، ثمة محاباة الانتداب للصهيونية، في شتى المجالات، مع تهديد المشروع الصهيوني للشعب والوطن الفلسطينيين، خاصة بعد توسيع «الوكالة اليهودية»، وانتشار البطالة، واتساع دائرة الأراضي التي انتقلت إلى أيدي الصهاينة، وأخيرًا جاء الطاعون، والزلزال، والأزمة الاقتصادية، لذا حين هتف الصهاينة ـ عند «حائط البراق»: «الحائط حائطنا»، اندلعت نار هبّة وطنية، دامت لأسبوعين، وشملت مدن الخليل، وصفد، فضلًا على القدس.

صحف المرحلة الثانية

امتدت المرحلة الثانية من الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩٣٠ ـ ١٩٣٩، صدر خلالها ٦١ صحيفة عربية، خص القدس منها ٢٥ صحيفة، ويافا ١٨ صحيفة، وحيفا ست صحف، وبيت لحم ثلاث صحف. وفي المرحلة نفسها أصدرت الحركة الصهيونية صحيفتين بالعربية («العامل»، ١٩٣١، و«حقيقة الأمر»، ١٩٣٧). كما عمدت صحف عبرية إلى إدخال اللغة العربية إلى صفحاتها (العامل الحر/ ذي بالستين ويكلي/ دوارهايوم/ عين دافار/ هادوآر هاكلكالي في هاكسبي/ إسرائيل/ هابنيان باميزراح هاركرويف/ لفانت راديو/ نيف هامآ فير/ تلامن/ وهيكة[٧].

ويوضح الجدول رقم (٣) تفاصيل من الصحف العربية التي صدرت في القدس، في المرحلة الثانية من الحركة الوطنية الفلسطينية.

الجدول رقم (٣)

الصحف العربية الصادرة خلال المرحلة الثانية من الحركة الوطنية(*)

اسم الصحيفة	صاحب الامتياز	رئيس التحرير	تاريخ صدور العدد الأول	دوريتها وطبيعتها
الحياة	عادل جبر وخالد الدزدار ثم خير الدين الزركلي	عادل جبر وخالد الدزدار ثم خير الدين الزركلي	١/ ٤/ ١٩٣٠	يومية سياسية
الأخلاق	داود الكردي	جبرائيل رحّال	١٩٣١	أسبوعية جامعة
مجلة دار الأيتام الإسلامية الصناعية	دار الأيتام الإسلامية	جميل وهبة	١٩٣٢	شهرية تربوية
العرب	عجّاج نويهض	عجاج نويهض	٢٧/ ٨/ ١٩٣٢	أسبوعية سياسية
اللواء	جمال الحسيني	إميل الغوري ثم علي الحسيني ثم عثمان قاسم	٤/ ٢/ ١٩٣٣	يومية سياسية
رقيب صهيون	بطريركية اللاتين	شكري سرور	٨/ ٤/ ١٩٣٣	أسبوعية دينية
مرآة الشرق	بولس شحادة	بولس شحادة	١٦/ ٤/ ١٩٣٣	نصف أسبوعية سياسية

(*) المصدر: الموسوعة الفلسطينية....، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤٠، ٤٤٣.

مجلة البطريركية	بطريركية السريان الأرثوذكس	قسطندي ثيودوري	٢٤/ ٤/ ١٩٣٣	شهرية دينية
مجلة كلية روضة المعارف	محمد الصالح	حسان أبو رحاب	٢٩/ ٥/ ١٩٣٣	شهرية تربوية
مجلة جمعية فلسطين الشرقية	توفيق كنعان	هربرت دابعي	٨/ ٨/ ١٩٣٣	فصلية تراثية بخمس لغات
أخبار دار الأيتام السورية	دار الأيتام السورية	إرنست شنللر	١٥/ ٨/ ١٩٣٣	شهرية بالألمانية والعربية
الوحدة العربية	إميل الغوري	إميل الغوري	٤/ ١٢/ ٩٣٣	يومية سياسية
الشباب	إميل الغوري	إميل الغوري	٢٩/ ٥/ ١٩٣٤	نصف أسبوعية سياسية
الاقتصاديات العربية	شركة المطبوعات العربية المحدودة	فؤاد صالح سابا	٢٥/ ١٠/ ١٩٣٤	نصف شهرية ثم أسبوعية اقتصادية
الأوقات العربية	علي الحسيني	علي الحسيني	٢٥/ ١/ ١٩٣٥	نصف أسبوعية ثم يومية سياسة
المياه الحية المقدسة	خليل أسعد حبرائيل	خليل أسعد جبرائيل	٨/ ٤/ ١٩٣٥	شهرية دينية بالعربية والإنكليزية
مجلة دار الأيتام الإسلامية	إسحاق درويش	عبد اللطيف ممتاز الحسيني	٢/ ٣/ ١٩٣٦	شهرية تربوية
مجلة الأشرطة السينمائية والسينما	إبراهيم تلحمي	إبراهيم تلحمي	٢٦/ ٤/ ١٩٣٧	أسبوعية سينمائية بالعربية والإنكليزية
وكالة الأخبار العربية	شركة المطبوعات العربية المحدودة	فؤاد صالح سابا ثم موسى الحسيني	٤/ ٦/ ١٩٣٧	يومية سياسية بالعربية والإنكليزية
اللهب	أديب خوري	أديب خوري	١٧/ ١٢/ ١٩٣٧	شهرية جامعة
السلام والخير	حراسة الأراضي المقدسة	ـــــ	١٩٣٧	شهرية دينية
بيت المقدس	بندلي إلياس مشحور	سامي نقولا نصر	٨/ ١١/ ١٩٣٨	يومية سياسية

صحف المرحلة الثالثة

في ربيع ١٩٣٩ خَفَتَ صوت ثورة ١٩٣٦ الوطنية الفلسطينية، ما أفسح المجال للمرحلة الثالثة من الحركة الوطنية الفلسطينية، التي اتسمت بجملة من المظاهر، لعل في مقدمتها اشتداد عود الطبقة العاملة العربية الفلسطينية، بفعل الانتشار الواسع لمعسكرات الجيش البريطاني، ووقف الاستيراد، مما أعطى دفعة قوية، نسبيًّا، للصناعة العربية الفلسطينية، لعلها تلبي احتياجات جنود الاحتلال، وقد تضاعفت أعدادهم، في مقابل توطن الهزيمة في أذهان عدد لا بأس به من الرأسماليين العرب الفلسطينيين الذين تأكدوا من عقم مواجهة الاستعمار البريطاني، وضرورة البحث الحثيث عن أساليب جديدة في التعامل مع هذا الاستعمار، وجدها بعض الرأسماليين الفلسطينيين في الرهان على مزاحم هذا الاستعمار البريطاني، وأعني به الاستعمار الأمريكي.

ما أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها صيف ١٩٤٥، حتى بدأ العد التنازلي لإقامة المشروع الصهيوني في فلسطين، وعادت الروح للحركة الوطنية الفلسطينية من جديد، الأمر الذي عبَّر عن نفسه في غير مجال، بما في ذلك إصدار المزيد من الصحف. فشهدت المرحلة الثالثة من الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩٤٠ ـ ١٩٤٨) صدور اثنتين وستين صحيفة عربية، إلى صحيفتين عن سلطات الانتداب، وخمس صحف عن الحركة الصهيونية، ومؤسساتها. وكانت حصة القدس من الصحف الاثنتين وستين ٢٤ صحيفة، وصحيفة صهيونية واحدة، وصحيفتين حكوميتين[٨]. ويلقي الجدول رقم (٤)، تفاصيل عن الصحف العربية الصادرة في القدس خلال المرحلة الثالثة من الحركة الوطنية.

الجدول رقم (٤)

الصحف العربية الصادرة في القدس خلال المرحلة الثالثة من الحركة الوطنية(*)

اسم الصحيفة	صاحب الامتياز	رئيس التحرير	تاريخ صدور العدد الأول	دوريتها وطبيعتها
الحرب	يوسف فرنسيس	يوسف فرنسيس	١٩٤٠/٧/٢	يومية سياسية بالعربية والإنكليزية
الأنباء العربية	رشاد أبو غربية	رشاد أبو غربية	١٩٤١/٥/٢٣	يومية سياسية
الأرض المقدسة	دير المخلِّص بالقدس	باسيل أتلاتبنيان	١٩٤١	شهرية دينية بخمس لغات
اللهب	يوسف فرنسيس	يوسف فرنسيس	١٩٤٢	أسبوعية سياسية
الغد	عيسى شاكر	عبد الغني الخطيب	١٩٤٥/٤/٢٤	نصف شهرية
الرياضة والسينما	جبرائيل شكري ديب	جبرائيل شكري ديب	١٩٤٥/٤/٢٦	أسبوعية رياضية سنيمائية بالعربية والإنكليزية

(*) المصدر: الموسوعة الفلسطينية، مرجع سبق ذكره، ص ٤٤٨، ٤٥٠.

الوحدة	إسحاق عبد السلام الحسيني	خيري حماد	١٩٤٥/٦/٥	يومية سياسية
المجلة الطبية العربية الفلسطينية	الجمعية الطبية العربية الفلسطينية	محمود طاهر الدجاني	١٩٤٥/٦/٢٨	طبية تصدر مرة كل شهرين
الهدف	جبرائيل ديب	جبرائيل ديب، ثم حنا سويدا	١٩٤٥/١١/٦	أسبوعية سياسية بالعربية والإنكليزية
الشرق الأوسط	جمعية الشرق الأوسط بالقدس	خيري حماد	١٩٤٥	أسبوعية سياسية جامعة
النيل	حسين حسني	حسين حسني	١٩٤٥/١/٢٨	أسبوعية جامعة
النضال	إميل الغوري	إميل الغوري	١٩٤٦/٣/٢	أسبوعية سياسية
الوطن	يوسف هيكل	حازم زكي نسيبه	١٩٤٦/٤/٨	أسبوعية سياسية
الرأي العام	أحمد خليل العقاد	إميل جورج أبو خليل	١٩٤٦/٦/٣	أسبوعية سياسية
القرية العربية	عارف علي النجار	عارف علي النجار	١٩٤٦/٩/٣٠	أسبوعية بيئية، بالعربية والإنكليزية
الذخيرة	حسين حسني	حسين حسني، ثم محمد درويش	١٩٤٦/١٠/٦	أسبوعية سياسية
مجلة اتحاد النوادي الأرثوزكسية	اتحاد النوادي	حنا عبد النور عطا الله	١٩٤٦/١٠/٢٨	شهرية رياضية
الشباب	علي سعيد خلف	علي سعيد خلف	١٩٤٦/١٢/٤	أسبوعية جامعة
صوت الكلية	موسى ناصر	موسى ناصر	١٩٤٧/٥/١٦	شهرية تربوية، بالعربية والإنكليزية
مجلة جمعية الشرق الأوسط	جمعية الشرق الأوسط بالقدس	جاكوب بروير	١٩٤٧/١٠/٩	فصلية بالعربية والعبرية والإنكليزية

ما بين النكبة والنكسة

عصفت نكبة ١٩٤٨ الفلسطينية بكل بنَى المجتمع العربي: الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والثقافية، والنقابية، ومن ضمنها الصحف، إلا ما كان يصدر منها في القدس، في وقت كانت فيه الصحف اليومية الثلاث الوحيدة في البلاد تصدر في يافا(*)، التي وقعت تحت الاحتلال الصهيوني، وإن نجحت إحدى تلك الصحف في الصدور من جديد سنة ١٩٥٠، في عمان، وهي يومية «فلسطين»، التي انتقلت إلى الصدور من القدس بعد نحو عام، واعتبارًا من عام ١٩٥٩ عاودت «الدفاع» الصدور من القدس، وعادت للصدور في عمان بعد الاحتلال الإسرائيلي للقدس عام ١٩٦٧.

ما بين نكبة ١٩٤٨، وهزيمة ١٩٦٧ صدر في الضفة الغربية خمس وعشرون صحيفة سياسية، وأربع صحف ثقافية، وصحيفتان نسائيتان، وصحيفة اقتصادية، وأخرى سياحية، وكان صدور ثماني صحف على نحو شهري، وقد صدر جل هذه الصحف من القدس(٩).

ويلقي الجدول رقم (٥)، تفاصيل عن الصحف العربية التي صدرت في القدس فيما بين نكبة ١٩٤٨، ونكسة ١٩٦٧.

الجدول رقم (٥)

الصحف العربية التي صدرت في القدس فيما بين نكبة ١٩٤٨، ونكسة ١٩٦٧

اسم الصحيفة	صاحب الامتياز	رئيس التحرير	تاريخ صدور العدد الأول	دوريتها وطبيعتها
البعث	عبد الله الريماوي	عبد الله الريماوي	١٩٤٨	سياسية أسبوعية
الصريح	هاشم عبد الله السبع	هاشم عبد الله السبع	١٩٤٨	سياسية أسبوعية
الجامعة الإسلامية	حسين التاجي الفاروقي	حسين التاجي الفاروقي	١٥/٣/١٩٤٩	سياسية يومية
الدفاع	إبراهيم الشنطي	صادق الشنطي	٧/١٢/١٩٤٩	سياسية يومية
الهدف	برهان الدجاني	برهان الدجاني	١٩٥٠	سياسية أسبوعية
الجواد	سليم الشريف	محمود أبو الزلف	٣١/٧/١٩٥٣	سياسية يومية
المنار	كامل الشريف	جمعة حماد	١٥/٦/١٩٦٠	سياسية يومية
الأفق الجديد	كامل الشريف	أمين شنَّار	١٥/٦/١٩٦٠	أدبية شهرية
الشعب	أكرم الخالدي	أكرم الخالدي	١٩٦٠	سياسية مسائية

(*) هي: فلسطين، والدفاع، والشعب.

الحوادث	ـــــ	محمد المسلمي	١٩٦٣	سياسية أسبوعية
في القدس هذا الأسبوع	طاهر عنبتاوي	محمد عايد	١٩٦٣	سياحية أسبوعية
القدس	محمود أبو الزلف	محمود أبو الزلف	مارس/ آذار ١٩٦٧	سياسية يومية

غني عن القول أن الحكومة الأردنية أقدمت في ربيع ١٩٦٧ على دمج أربع صحف يومية في صحيفتين؛ فكانت «القدس» نتيجة دمج صحيفتي «الدفاع» و«الجهاد»، وظلت تصدر في القدس، فيما دمجت «فلسطين» و«المنار»، في صحيفة «الدستور»، التي انتقلت إلى العاصمة عمان في مارس/ آذار ١٩٦٧ ، وقد احتكرت «القدس» إعلانات الاحتلال الإسرائيلي منذ إعادة إصدارها في نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٦٨ .

تحت الاحتلال الإسرائيلي

أسكت الاحتلال الإسرائيلي (١٩٦٧) كل أدوات التعبير في الأراضي التي رزحت تحت نيره، وفي مقدمة تلك الأدوات الصحف، ومن ضمنها صحف القدس العربية، واصطف الإجماع الوطني وراء مقاومة المحتل، بالكلمة والبندقية على حد سواء، فكانت الصحف السرية التي أصدرتها منظمات المقاومة في الأراضي الفلسطينية المحتلة[١٠]، وإن عاودت يومية «القدس» العلنية الصدور في القدس، بعد أن تأكد أن الأرض سترزح تحت الاحتلال سنوات وسنوات، وليس على غرار «العدوان الثلاثي» نحو أربعة أشهر فقط. وصدر العدد الأول من «القدس» تحت الاحتلال في ٩/ ١١/ ١٩٦٨[١١]، ورغم إعلان هذه الصحيفة أنها «مستقلة»، فإن رئاسة تحريرها عمدت إلى فصل أحد محرريها لمجرد أنه أبدى تعاطفًا مع وزير الخارجية المصري في موقفه القومي الحاسم في مجلس الأمن الدولي[١٢]. وسرعان ما قفزت «القدس» إلى مقدمة كل صحف الضفة الغربية وقطاع غزة، في مجال التوزيع (١٠ ـ ١٥ ألف نسخة، يوميًا)[١٣]، وقد كتب فيها كتاب سياسيون مرموقون، أمثال إدوارد سعيد، وإبراهيم أبو لغد.

حين انحسرت المقاومة المسلحة، وارتبك الموقف الرسمي العربي، بغياب جمال عبد الناصر، (٢٨/ ٩/ ١٩٧٠)، وطال أمد الاحتلال الإسرائيلي، عدلت الحركة الوطنية الفلسطينية عن موقفها الاستنكافي، ومالت للتمدد الإعلامي، علها تعوِّض انحسار عملها الفدائي، خاصة مع إغلاق راديو «صوت الثورة الفلسطينية» (صيف ١٩٧٠ ـ صيف ١٩٧١)، المنطلق من القاهرة، والذي كان يغطي كل أراضي فلسطين المحتلة، عدا أرجاء واسعة من العالم، وعاد «صوت الثورة الفلسطينية» إلى الصمت منذ خريف ١٩٧٥، وحتى صيف ١٩٧٦، ثم كتمت أنفاسه مرة وإلى الأبد منذ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٧٧، مع زيارة السادات لإسرائيل. فيما استهدفت إسرائيل تحقيق حزمة من الأهداف بسماحها بإصدار صحف عربية، **أولها**: الظهور في صورة المحتل الديمقراطي، **وثانيها**: استدراج المقاومة من السري إلى العلني، ومن الكفاح المسلح إلى العمل الإعلامي، ويبقى الغرض الثالث المتمثل في احتمال ظهور قيادة بديلة لمنظمة التحرير الفلسطينية، حتى وإن لم تكن مهاودة للمحتل، إذ يكفي أن تلعب إسرائيل على التناقض بين قيادتي

الداخل والخارج الفلسطينيتين. واستمر الشد والجذب بين المقاومة والمحتل الإسرائيلي، كلٌّ يحاول الظفر بتحقيق أهدافه.

هنا أقدمت عناصر فلسطينية على إصدار صحف بالقدس، على وجه التحديد، بسبب خضوع القدس ـ دون غيرها من مدن الضفة والقطاع ـ لقانون المطبوعات الإسرائيلي، بعكس الضفة والقطاع، اللذين خضعا للأحكام العسكرية، فصدرت أسبوعية «الفجر»، في ٧/ ٤/ ١٩٧٤، لكن رئيس تحريرها، يوسف نصري، تم اختطافه، بعد أقل من عامين، واختفى أثره. بعدها غدت «الفجر»، نصف أسبوعية (السبت، والأربعاء)، وتولى رئاسة تحريرها الأديب اليساري المعروف، محمد خالد البطراوي، ومنذ ١٥/ ٦/ ١٩٧٤، تحول إصدارها إلى اليومي[١٤]، وفي صيف ١٩٧٥، تولى رئاسة تحريرها الأمين العام للتنظيم الشيوعي الفلسطيني في الضفة الغربية، (فرع الحزب الشيوعي الأردني)، بشير البرغوتي، مما يدل على أن «فتح» لم تكن تمتلك صحفيين مؤهلين، بعد، في الضفة والقطاع، فضلًا على أن الحدود السياسية بين «فتح»، والشيوعيين في الضفة لم تكن واضحة. على أن يمين «فتح» لم ترق له خطوة تعيين البرغوتي، ومن هذا اليمين كان القيميْن على «الفجر»: حنا سنيورة، وهيا نصار، فعمدا إلى إقالة هيئة تحرير «الفجر»، وعطلا الجريدة نفسها، لتعود بعد شهر ونصف وقد ترأس تحريرها هنا مأمون السيد، المحسوب على «يسار فتح»، لكن بال «يمين فتح» لم يهدأ حتى اقتسم مع «يسار فتح» رئاسة تحرير «الفجر»، فمثل زياد أبو زياد الاتجاه الأول، فيما مثل علي الخليلي «يسار فتح»، وأصبح أبو زياد والخليلي رئيسين لتحرير «الفجر»[١٥]، وتراوح توزيع «الفجر» ما بين ٣٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ نسخة يوميًّا.

ألحقت «فتح» بالفجر يومية أخرى هي «الشعب»، التي صدر عددها الأول في ٢١/ ٧/ ١٩٧٢، وصاحب الامتياز هو محمود يعيش، وعلي الخطيب رئيسًا للتحرير، وإن أبعدت سلطات الاحتلال الأخير إلى لبنان، بعد ثمانية وعشرين شهرًا من صدور «الشعب»، وتراوح توزيعها ما بين ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ نسخة يوميًّا. وبسبب مواقفها الوطنية تعرضت للإغلاق عدة مرات، كما أُحرقت من قِبَل «مجهول» مرتين، ومنعت من التوزيع ما يزيد على عشرين مرة في العام الواحد[١٦].

جرت الانتخابات البلدية في الضفة سنة ١٩٧٣، فيما تمكنت فصائل المقاومة من قطع الطريق على مثيلتها في القطاع، خشية انعكاس أزمة المقاومة المستفحلة على نتائج هذه الانتخابات، وكانت المفاجأة حين اكتسحت العناصر الوطنية انتخابات الضفة، فاستجدَّت خشية لدى القيادة المتنفذة في منظمة التحرير من انتقال زمام أمور القضية الفلسطينية إلى تلك العناصر الصاعدة.

لم تقف الثورة المضادة مكتوفة الأيدي في الضفة، بل سارعت إلى إصدار أسبوعية «البشير» سنة ١٩٧٠، القريبة من رئيس بلدية الخليل، آنذاك، محمد علي الجعبري، وترأس تحريرها إبراهيم حنظل، وتولى عضوية مجلس إدارتها زياد أبو زياد، قبل أن ينتقل ـ بقدرة قادر ـ إلى «الفجر». وتبعت البشير أسبوعية «صوت الجماهير» سنة ١٩٧٣، وترأس تحريرها محمد أبو شلباية[١٧]. وفي عام ١٩٧٢ صدرت شهرية «فلسطين الطبية»، وأسبوعية «ألوان» المنوعة[١٨].

فيما تعرضت كل من «القدس» و«الفجر»، و«الشعب» إلى إغلاق كل منها مرتين، والمنع من التوزيع في الضفة والقطاع بأمر من سلطات الاحتلال، فإن السلطات نفسها أمرت بسحب ترخيص «فلسطين الطبية»، فيما توقفت كل من «ألوان» و«صوت الجماهير» بقرار من صاحبي الامتياز[١٩].

غني عن القول بأن الرئيس المصري السابق، أنور السادات، قد وجه طعنة نجلاء إلى الانتصار الجزئي الذي تحقق في حرب أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٧٣ ضد إسرائيل، وذلك حين نفّذ السادات وعده بالصلح مع إسرائيل، التي زارها (١٩/ ١١/ ١٩٧٧)، وأدار ظهر المجن لكل العرب، وباتفاقية كامب ديفيد (سبتمبر/ أيلول ١٩٧٨)، «ومعاهدة السلام» مع إسرائيل أخرج السادات مصر من الصراع العربي ـ الإسرائيلي، وحرم القضية الفلسطينية من الموقف المصري، بل أنهى السادات الموقع القيادي لمصر في الوطن العربي، ما نتج عنه من تراجع الحركة الوطنية الفلسطينية، واندماجها، أكثر فأكثر، في الاتجاه للنشاط الإعلامي، وفيما بين انتصار أكتوبر و«مبادرة السادات»، سيئة الصيت، التي تُوّجت باتفاقيتي كامب ديفيد (سبتمبر/ أيلول ١٩٧٨)، «ومعاهدة السلام»، مع عدو الأمة الإسرائيلي (مارس/ آذار ١٩٧٩)، بدا وكأن ثمة تسوية مشرّفة للصراع العربي ـ الإسرائيلي تلوح في الأفق، كثمرة لانتصار أكتوبر، تسوية تفضي إلى ظهور دولة فلسطين.

حث الشيوعيون الخطى في التحضير للدولة المرتجاة، فأصدروا أسبوعيتهم «الطليعة»، في القدس، ابتداءً من ٢٧/ ٢/ ١٩٧٨، وألحقوها بشهرية فكرية هي «الكاتب»، منذ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٧٩. ولأهمية الأولى، فقد تولى رئاسة تحريرها الأمين العام للتنظيم الشيوعي الفلسطيني في الضفة والقطاع، بشير البرغوتي، وهو نفسه أصبح الأمين العام للحزب الشيوعي الفلسطيني، الذي أعلن عن تأسيسه في ١٠/ ٢/ ١٩٨٢، فيما تولى واحد من أهم مثقفي التنظيم رئاسة تحرير «الكاتب»، وهو أسعد الأسعد[٢٠].

بعد أن كانت سميحة خليل قد أصدرت عن مؤسستها الاجتماعية التراثية النشطة، «جمعية إنعاش الأسرة»، في بيرزيت، فصلية «التراث والمجتمع»، منذ أبريل/ نيسان ١٩٧٤، وأسندت رئاسة تحريرها إلى سليم تماري. وفي آخر ١٩٧٥، ترأس إبراهيم سابا شهرية «المسرح»، وتبعتها في مارس/ آذار١٩٧٧ شهرية «البيادر»، التي ترأس تحريرها جاك خزمو، ثم جاءت أسبوعية «الشراع»، السياسية، القريبة من «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»، وترأس تحريرها مروان العسلي، ولهذه الشبهة أغلقتها سلطات الاحتلال، فيما لم تلق أي من «المسرح»، أو «صوت الجبل» رواجًا، فأغلقهما أصحاب امتيازهما. أما «الطليعة» فمنعت من التوزيع في الضفة والقطاع، ما دفع «الشيوعي» إلى توزيعها سرًا في هاتين المنطقتين المحتلتين، كما لاحق مقص الرقيب العسكري موادها، ما أرهق هيئة تحريرها[٢١].

أحدثت خطوات السادات التفريطية تبدلًا واضحًا في أداء الحركة الوطنية الفلسطينية، وبدأ التركيز التنظيمي والإعلامي داخل الوطن المحتل، الذي شهد تسابقًا ملحوظًا بين فصائل المقاومة في مجال الصحف، فصدرت «الميثاق»، نصف الأسبوعية السياسية، المقرّبة من «الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة»، منذ ١٣/ ٢/ ١٩٨٠، واعتبارًا من أول أغسطس/ آب ١٩٨٤ غدت يومية، وقد ترأس تحريرها صاحب امتيازها، محمود الخطيب، ونالت «الميثاق» أعلى منسوب من قرارات منع التوزيع التعسفية (١٠ ـ ١٥ مرة سنويًا)، فيما كانت سلطات الاحتلال قصرت توزيع «الميثاق» على القدس دون الضفة والقطاع، وقُصف عمر هذه الصحيفة بقرار تعسفي عسكري[٢٢]، فأتبعتها «الشعبية ـ القيادة العامة» بأسبوعية سياسية جديدة، هي «العهد»، التي ترأس تحريرها غسان الخطيب، شقيق محمود الخطيب، والاثنان نجلا علي الخطيب (رئيس تحرير «الشعب» السابق). وفي الأول من أبريل/ نيسان ١٩٨١ صدرت أسبوعية «البيادر السياسي»، برئيس تحرير شقيقتها «البيادر»، الأدبية نفسه (جاك خزمو)[٢٣].

مع التراجع الوطني والقومي، عادت الثورة المضادة لتطل من جحورها، فأصدرت «روابط القوى» العميلة للاحتلال أسبوعية «أم القرى»، السياسية، سنة ١٩٨٠، وتوالى على رئاسة تحريرها كل من محمود الراغب، فمحمد نصر، ومع اختفاء «أم القرى»، أخلت مكانها في ٢٠/ ٢/ ١٩٨٢ لأسبوعية أخرى هي «المرآة»، التي ترأس تحريرها يونس الحنتولي[٢٤].

في توسعها المفاجئ داخل الوطن المحتل أصدرت «فتح» أسبوعية «الفجر الإنجليزي»، ابتداء من ٢٣ أبريل/ نيسان ١٩٨٠، وأسندت رئاسة تحريرها إلى حنا سنيورة، وألحقتها بأسبوعيتين عبريتين، هما «الفجر العبري»، وتولى زياد أبو زياد رئاسة تحريرها، منذ يناير/ كانون الثاني١٩٨٢، و«جيشر»، في ٢٠/ ٦/ ١٩٨٦[٢٥].

مع ظهور «الجهاد الإسلامي» في فلسطين نهاية السبعينيات، انخرطت في السباق، فاستخدمت ترخيص صحيفة «النور» الصادرة عن «جمعية الشبان المسلمين» في القدس، وأخذت الحركة في إصدارها، منذ فبراير/ شباط ١٩٨٢، وإن عدّلت اسمها إلى «النور الرباني»، ولم تنتظم في الصدور، حتى توقفت نهائيًا في أواخر العام نفسه. فيما أصدرت «الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين» يومية «الدرب» السياسية، التي ترأس تحريرها سمعان خوري عام ١٩٨٥، لكن سلطات الاحتلال عاجلتها بالإغلاق في أغسطس/ آب ١٩٨٦، بعد صدور عشرين عددًا منها، فيما استقوى الحكم الأردني بيومية «النهار»، التي صدرت أسبوعية في ٢٧/ ٦/ ١٩٨٦ قبل أن تتحول إلى يومية ابتداءً من أبريل/ نيسان١٩٨٧، وترأس عصام العناني تحريرها[٢٦].

كان طبيعيًا أن تتعرض كل هذه الصحف إلى المصادرة، والمنع من التوزيع في الضفة والقطاع، وبعضها كان مصيره الإغلاق[٢٧]، فبرغم رغبة الاحتلال في استدراج المقاومة إلى العمل العلني، السياسي، والإعلامي، على حساب العمل العسكري، فإن تلك الرغبة ظلت مكبوحة بالحذر الإسرائيلي من استخدام المقاومة للسياسي والإعلامي في سبيل إنعاش العسكري.

حين اندلعت انتفاضة ١٩٨٧ تواضع إسناد الصحافة العربية الفلسطينية لها، بسبب من مقص الرقيب، وعسفه، ثم جاءت حرب الخليج الثانية (١٩٩٠ ـ ١٩٩١)، وانفرط عقد الاتحاد السوفييتي أواخر ١٩٩١، وتوقفت دول الخليج عن الدعم المالي لقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، عقابًا لها على موقفها المؤيد لصدام حسين في حرب الخليج الثانية، ما اضطر صحف «الشعب»، و«الفجر»، و«البيادر السياسي»، و«الأسبوع الجديد» إلى التوقف عن الصدور. ويوضح الجدول رقم (٦) تفاصيل عن الصحف العربية التي صدرت في مدينة القدس، تحت الاحتلال الإسرائيلي، وحتى «اتفاق أوسلو».

* * *

جدول رقم (٦)

الصحف العربية الصادرة في القدس منذ احتلال ١٩٦٧ وحتى «اتفاق أوسلو»

اسم الصحيفة	رئيس التحرير	تاريخ صدور العدد الأول	دوريتها وطبيعتها
القدس	محمود أبو الزلف	١٩/ ١١/ ١٩٦٨	يومية سياسية
البشير	إبراهيم حنظل	٢٩/ ١١/ ١٩٧٠	أسبوعية سياسية
الفجر	يوسف نصري نصر	٧/ ٤/ ١٩٧٢	أسبوعية سياسية ثم يومية
الشعب	علي الخطيب	٢٠/ ٧/ ١٩٧٢	يومية سياسية
فلسطين الطبية	أحمد السيد	١٩٧٢	شهرية علمية
ألوان	يوسف نفاع	١٩٧٢	أسبوعية منوعة
صوت الجماهير	محمد أبو شلباية	١٩٧٣	أسبوعية سياسية
صوت الجبل	جمال عبد الله الشنطي	١٩٧٥	شهرية منوعة
المسرح	إبراهيم سابا	١٩٧٥	شهرية أدبية
البيادر	جاك خزمو	مارس/ آذار ١٩٧٧	شهرية أدبية
الطليعة	بشير البرغوثي	٢٧/ ٢/ ١٩٧٨	أسبوعية سياسية
الشراع	مروان العسلي	١١/ ٥/ ١٩٧٨	أسبوعية سياسية
الكاتب	أسعد الأسعد	فبراير/ شباط ١٩٧٩	شهرية فكرية
الفجر الأدبي	حنا سنيورة	١٩٧٩	شهرية أدبية
أم القرى	محمد نصر ومحمود الراغب	١٩٨٠	شهرية أدبية
الميثاق	محمود علي الخطيب	١٥/ ٣/ ١٩٨٠	أسبوعية سياسية
الفجر الإنجليزي	حنا سنيورة	٢٠/ ٤/ ١٩٨٠	أسبوعية سياسية
البيادر السياسي	جاك خزمو	١/ ٤/ ١٩٨١	شهرية سياسية
العهد	غسان الخطيب	٩/ ١٢/ ١٩٨١	أسبوعية سياسية
الفجر العبري	زياد أبو زياد	يناير/ كانون الثاني ١٩٨٢	أسبوعية سياسية
الوحدة	فؤاد سعد	٢٠/ ٢/ ١٩٨٢	أسبوعية سياسية
النور	ـــــ	فبراير/ شباط ١٩٨٢	غير منتظمة، فكرية
المرآة	يونس حنتولي	يونيو/ حزيران ١٩٨٢	نصف أسبوعية سياسية
العودة	إبراهيم قراعين	أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٨٢	نصف شهرية، سياسية
العودة الإنجليزي	إبراهيم قراعين	ـــــ	غير منتظمة، سياسية

هدى الإسلام	هاشم أحمد عشاير (مديرعام)	١٩٨٢	شهرية فكرية
التقدم	جميل العزة	١٩٨٤/٨/٧	يومية، سياسية
مرايا	ناظم بدر	مارس/ آذار ١٩٨٥	أسبوعية سياسية
الدرب	سمعان خوري	١٩٨٥	أسبوعية سياسية
جيشر	زياد أبو زياد	١٩٨٦/٦/٢٠	أسبوعية سياسية
البيان	ـــــ	١٩٨٥	غير منتظمة فكرية
النهار	عصام العناني	١٩٨٧/٤/١	يومية سياسية

وقد حصرت سلطات الاحتلال توزيع الصحف التالية في القدس دون الضفة والقطاع من باب التضييق عليها، وهذه الصحف هي: الطليعة، والشراع، والميثاق، والفجر الإنجليزي، والوحدة، والعودة، والموقف، والدرب، والبيان، فيما منعت صحفًا أخرى من التوزيع على فترات في الضفة والقطاع، وهي صحف: الفجر، الشعب، البيادر الأدبي، والبيادر السياسي، مما يعني رضى سلطات الاحتلال عن أداء بقية الصحف، أو تقدير تلك السلطات بأن لا خطر في الموضوعات التي تنشرها.

مع التمدد النسبي للصحف العربية في القدس، تجمع نحو خمسين صحافيًا ليؤسسوا في القدس «رابطة الصحافيين العرب» سنة ١٩٨٠، ترأسها فؤاد سعد رزق، قبل أن تنتخب الرابطة هيئة إدارية جديدة سنة ١٩٨٢، ترأسها رئيس تحرير «الشعب»، أكرم هنية، الذي أُبعد عن الضفة الغربية سنة ١٩٨٥، فخلفه رضوان أبو عيّاش، ومنذ ١٩٨٩ حل محله نعيم طوباسي، ولا يزال. أما آخر انتخابات جرت في الرابطة فكانت سنة ١٩٩٣. وما أن حلّت بركات الحكم الذاتي حتى كفت هذه الرابطة عن إجراء انتخاباتها. وعن سجل العضوية، فقد اقتصر على ١٥٥ عضوًا حتى ١٩٨٧، ووصل سنة ١٩٩٣ إلى نحو ٤٥٠ عضوًا، ثلثاهما في الضفة الغربية، والقدس. وقد عدّلت الرابطة نظامها الداخلي، مرتين، **أولاهما**: سنة ١٩٨٧، **والثانية**: سنة ١٩٩٣[٢٨].

تقييم الصحافة تحت الاحتلال

لقد حاول المحتل أن يغطي الفراغ المترتب على توقف الصحف العربية في الضفة والقطاع، فأصدر المحتل يومية «اليوم» منذ سنة ١٩٦٨، لكنها أشهرت إفلاسها السياسي، فحلت محلها يومية «الأنباء»، بلهجة مراوغة ألطف، لكنها توقفت عن الصدور منذ مطلع فبراير/ شباط ١٩٨٥، حسب شهادة كاتب سياسي وأدبي مرموق، عاش تجربة تلك الصحف تحت الاحتلال قرابة العقدين، فإن تلك الصحف عانت كثيرًا من الحصار، وعسف الرقابة، وقد ارتد هذا كله سلبًا على تلك الصحف، خاصة في مستواها المهني والتقني. وبعد سنة ١٩٨٠ دخلت عناصر مؤهلة إلى ميدان العمل الصحفي، ما انعكس إيجابًا على هذا العمل. الأمر الذي آتى أُكله، خلال سني الانتفاضة المباركة (١٩٨٧ ـ ١٩٩١)، وإن استمرت معاناة الكتاب الطامحين في مواصلة التوعية والتعبئة في مواجهة مقص الرقيب، ومع ذلك فقد تمكن الصحافيون من تحقيق هدفهم، بنشر الوعي الوطني الجديد[٢٩].

تحت الحكم الذاتي

حين تم توقيع «اتفاق أُوسلو» في الحديقة الجنوبية للبيت الأبيض بواشنطن في ١٣/ ٩/ ١٩٩٣، بدا وكأن عهدًا جديدًا قد هلّ، ما دفع دعاة المقاومة والميالين للبديل الأردني على حد سواء إلى التحرك، والاستقواء بالصحافة، فأصدر غسان الخطيب في القدس صحيفة «الأمة» الأسبوعية السياسية ، وتبعه الصحفي المخضرم البارز، ناصر الدين النشاشيبي، فأصدر أسبوعة سياسية حملت اسم «أخبار البلد»، وقد صدر عددها الأول في ٢/ ٥/ ١٩٩٤، وإذا كانت الصحيفة الأولى قد عبَّرت عن الخط السياسي للجبهة الشعبية ـ القيادة العامة، فإن الثانية لم تخفِ ميلها لمزاحم الحكم الذاتي، وأعني به الحكم الأردني.

لقد ظن الطرفان ـ «الأمة»، و«أخبار البلد» ـ أن الحكم الذاتي سيخفف من وطأة المحتل الإسرائيلي، ولم يعلما بأن الأول كان المطرقة، بينما المحتل السنديان ضد المقاومة، والصحافة الوطنية.

صحيح أن القدس بقيت تحت الاحتلال الإسرائيلي، لكن صحفها لم تسلم من الخنق والبطش للحكم الذاتي الجديد، تحت سمع وبصر المحتل، ما يعني مباركته، فما أجمل أن يضرب العدو العدو. فقد أقدمت عناصر من أجهزة أمن الحكم الذاتي ـ وخاصة «الأمن الوقائي» ـ على تعقب الصحفيين في القدس، واختطافهم، والتضييق على الصحف، بمنع توزيعها في مناطق الحكم الذاتي (الضفة والقطاع)، وإغلاق مكاتبها هناك، وتدمير مقارها، ومطابعها، كما حدث مع « الأمة»، أما «أخبار البلد»، «والنهار» فقد اضطرتا للتوقف، الأولى في ١٧/ ٧/ ١٩٩٤، والثانية في ١/ ١/ ١٩٩٧.

قبل أن يكمل الحكم الإداري الذاتي المحدود عامه الأول أصدر رئيس هذه السلطة، في ٢٥/ ٦/ ١٩٩٥، «قانون المطبوعات والنشر»[٣٠]، بعد أن كان العام السابق على إصدار ذلك القانون حافلًا بالبطش بالصحفيين، وخنق حرية الصحافة، حتى بدا صدور «قانون المطبوعات والنشر» وكأنه لتوفير المسوِّغ القانوني لذاك العسف ضد الصحافة والصحافيين العرب الفلسطينيين.

ترى قانونية سورية، معنية بحرية الصحافة، محقة، أنه «ما كان لمثل هذه السلطة إلا أن تنتهك حرية الصحافة، ضمن انتهاكاتها الفظَّة للحريات الديمقراطية». وتؤكد القانونية نفسها أن «هذه السلطة غير مؤهلة لإشاعة هذه الحريات، أو صيانتها»، حيث إن هذه السلطات «خالية الوفاض»، تمامًا، من أي موروث ديمقراطي، كما لا تحاط بجوار ديمقراطي، ولا تستند إلى مؤسسات ديمقراطية، فضلًا على أنها تُعبِّر عن طبقات وفئات اجتماعية مغرقة في طفيليتها، غير منتجة، وبالتالي فهي غير معنية بإشاعة الحريات الديمقراطية في البلاد، كما أن هذه السلطة تحكم مجتمعًا متسولًا، يعيش على المعونات الأجنبية، وتتسع فيه دائرة الفئات الاجتماعية الهامشية، ناهيك عن الموقف السياسي البالغ الهشاشة لهذه السلطة، الأمر الذي يجعلها تفتش عن أساليب استثنائية لحماية نفسها من الانتقاد، والأنكى أنها لم تأخذ من واجبات الدولة إلا القمع؛ لذا نراها تدخل قطاع غزة وأريحا مدججة بأجهزة القمع... بينما لم تكن سلطة الحكم الذاتي قد أعدت نفسها لمواجهة المشاكل المستعصية» للشعب[٣١].

استهجنت القانونية السورية إعطاء السلطة نفسها حق إصدار قوانين في غيبة البرلمان، صاحب الحق في سن القوانين، بل إن السلطة لم تصف القانون بأنه مؤقت، فضلًا على أنه افتقر إلى مذكرة تفسيرية تعززه[٣٢].

إذا أتينا إلى مواد القانون، فسنلاحظ أنها مجهضة بجملة «في حدود القانون»، وحظر البند (و)، من المادة (١١) على من يقيم خارج فلسطين تولي رئاسة تحرير أي دورية، فيما أمر الدخول إلى فلسطين منوطٌ برغبة المحتل الإسرائيلي، وليس برغبة الفلسطيني المعني، أو حتى السلطة الفلسطينية، وتتعسف الفقرة ٤ من البند (أ) في المادة ١٣ حين تشترط أن يكون رئيس التحرير«حاصلاً على مؤهل علمي ذي علاقة بالموضوع الذي تخصصت به المطبوعة». كما أن البند (د) من المادة (١٤) يشترط في مدير دار النشر خبرة مناسبة في المجال الذي يعمل فيه. فيما اتسمت المادة (٣٢) بالطابع الأمني، إذ شددت على رئيس التحرير ألا ينشر أي مقال باسم مستعار! إلى العمومية الشديدة، والالتباس في بعض مواد القانون. ناهيك عن أن القانون لم يحدد طبيعة المحكمة التي تنظر في مخالفات الصحف، ما يفتح الباب واسعًا للمحاكم العسكرية، أو الاستثنائية. وبينما يُطل المحتل الإسرائيلي، تمامًا، على تسليح أجهزة أمن الحكم الذاتي، فإن قانون النشر الجديد يحظر نشر الصحف أي معلومات عن ذاك التسليح! وثمة مفهومان مطاطيان، **أولهما**: «الإساءة إلى الوحدة الوطنية»، **وثانيهما**: «زعزعة الثقة بالعملة الوطنية»، وهذا بمثابة سيف مصلت على رقاب الصحف، والصحفيين. والغريب أن مناطق الحكم الذاتي بلا عملة وطنية، إلا إذا كان يقصد بالعملة الوطنية «الشيكل الإسرائيلي» !

أما من يده في النار فيرى ـ على لسان قانوني فلسطيني ـ أن سلطة الحكم الإداري الذاتي المحدود «ليست مؤهلة لصياغة قوانين تلبي توق الشعب الفلسطيني للحرية بسبب نقص سيادة السلطة، وما تم ليس انسحابًا عسكريًّا لقوات الاحتلال، بل مجرد إعادة توزيع هذه القوات. هناك لا مفر من الدستور، حتى يُصَيَّرَ إلى محاكمة ما يصدر من قوانين». وتوقع القانوني نفسه أن يترك «قانون المطبوعات والنشر» الجديد بصماته «على الكتابة السياسية، والأدبية، والصحافية، التي كان لها الفضل في زرع اسم فلسطين في ذاكرة الشعب الفلسطيني، وأبقت القضية الفلسطينية حيَّة، الأمر الذي يرعب أعداء الأمة. ما يجعل الكتابة الفلسطينية جديرة بقانون مطبوعات ونشر ديمقراطي»، لا أن ينقل القانون الذي أصدرته السلطة ٢٧ مادة ـ نقل مسطرة ـ من «قانون المطبوعات والنشر» الأردني، رقم (١٠)، لسنة ١٩٩٣، مع تعديلات طفيفة على بقية المواد الواردة في القانون الأردني المذكور.

استطرد القانون الفلسطيني: «إن مجلس التشريع والإفتاء الفلسطيني لم يُنجز قانونًا ديمقراطيًّا للمطبوعات والنشر، ملتزمًا بلائحة حقوق الإنسان بشكل كامل، ولم يراع واقع الشعب الفلسطيني، بتوقه للحرية، وبناء دولته الديمقراطية، وإضفاء صفة أخرى لصفات عاصمته (القدَس)، عاصمة الأديان السمحة، والعبادة، والمحبة، لتصبح، أيضًا، عاصمة للثقافة، والرأي الحر»[٣٣].

بدخول السلطة إلى الضفة والقطاع بهت دور الصحافة العربية في القدس، وتوالى احتجاب صحفها، بعد أن احتجبت أسبوعية «الطليعة» بصدور عددها في ٢٥/ ٢/ ١٩٩٥، بمجرد أن وعت قيادة «حزب الشعب الفلسطيني» المشرفة على إصدار تلك الأسبوعية بأن إصدارها في القدس قد استنفد أغراضه، كما أن مركز الثقل في العمل الفلسطيني انتقل إلى رام الله، التي تعامل معها رئيس السلطة ، ياسر عرفات، باعتبارها العاصمة المؤقته للسلطة، فضلًا على أن قيادة «الشعب» أيدت «اتفاق أوسلو» بأغلبية النصف زائد واحد، مما يعني أن الاستمرار في الدعوة لهذا الاتفاق يمثل تهديدًا بشق الحزب، ناهيك عن الضائقة الاقتصادية التي أخذت بخناق الحزب، مما جعل إصدار «الطلعية» عبئًا ماليًّا ثقيلًا على الحزب، ولم يبق إلا يومية «القدس» صحيفة لكل العصور. وانتقل مركز الصحافة العربية الفلسطينية إلى رام الله، التي اختارها الحكم الذاتي عاصمة مؤقتة له، ومنها أصدر يوميتي «الحياة الجديدة»، و«الأيام» التي لا تزال بيننا!

هوامش الفصل العاشر:

(١) لمزيد من التفاصيل في هذا الصدد يمكن الرجوع إلى دراستنا في:

الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الرابع، بيروت، ١٩٩٠، (انظر: عبد القادر ياسين، **الصحافة العربية في فلسطين**، ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠).

(٢) **المرجع نفسه**، الصفحات نفسها.

(٣) **كنز الرغائب في منتخبات الجوانب**، الجزء الخامس، ص ٥٦ـ ٥٩، ١٥٠ ـ ١٥٣.

ـ **قانون الجزاء الهمايوني**، ص٣٦ ـ ٣٨.

لمزيد من التفاصيل يمكن العودة إلى:

ـ يوسف ق. خوري، **الصحافة العربية في فلسطين ١٨٧٦ ـ ١٩٤٨**، بيروت، **مؤسسة الدراسات الفلسطينية، والاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين**، ١٩٧٦، ص ٥٦ ـ ٥٩، ١٤٨ـ ١٥٣، ١٥٩ـ ١٦٠.

(٤) يعقوب يهوشع، **تاريخ الصحافة العربية في فلسطين في العهد العثماني ١٩٠٨ـ١٩١٨**، القدس، **مطبعة المعارف**، ١٩٧٤، ص ١٣ ـ ٢٩، ١٥٠ ـ ١٥١.

ـ جورج كيرك، **موجز تاريخ الشرق الأوسط**، ترجمة: عمر الإسكندري، القاهرة، مركز كتب الشرق الأوسط، ١٩٥٧، ص ١٨٩.

(٥) لمزيد من التفاصيل حول صحف تلك المرحلة، يمكن الرجوع إلى: ياسين، **مرجع سبق ذكره**، ص ٤٣٦ ـ ٤٣٧.

(٦) إميل الغوري، **فلسطين عبر ستين عامًا (١٩٢٢ ـ ١٩٣٧)**، ج٢، بيروت، دار النهار، ١٩٧٤، ص١٣.

(٧) عبد القادر ياسين، **الصحافة العربية في فلسطين والحركة الوطنية**، الدراسات الإعلامية للسكان والتنمية والتعمير (دمشق)، العدد ١٨ ـ ١٩، ديسمبر/ كانون الأول ١٩٧٩، ص ٧٦ـ٩٥.

ـ خوري، **مرجع سبق ذكره**، ٥٧، ٦٨ـ ٧٤ ـ ٧٨، ٨٥ ـ ٨٦، ١٠٥ ـ ١٠٦.

ـ يعقوب يهوشع، **تاريخ الصحافة العربية في فلسطين ١٩٣٠ ـ ١٩٤٨**، ج٣، القدس، معهد هاري ترمان بالجامعة العبرية، شفا عمرو، دار المشرق للطباعة والنشر، ١٩٨٣، ص ٤٠ـ٤١.

(٨) لمزيد من التفاصيل حول كل صحف المرحلة الثالثة من الحركة الوطنية الفلسطينية، وبشكل أخص تلك الصحف العربية الصادرة من القدس، يمكن الرجوع إلى:

ـ يهوشع، **مرجع سبق ذكره**، ج٣، ص ٥٥ـ ٦١، ٨١ ـ ١٠١، ١١٧، ١٢٨ـ ١٣٥، ١٤١، ١٤٣، ١٥٠ـ ١٥٦.

ـ خوري، **مرجع سبق ذكره**، ص ١١٢ ـ ١٤٠.

ـ ياسين، الموسوعة الفلسطينية، **مرجع سبق ذكره**، ص ٤٤٧ـ ٤٥٠.

(٩) لمزيد من التفاصيل حول الصحف، وأسمائها، وأماكن صدورها، وتاريخ صدور أعدادها الأولى، وأسماء رؤساء تحريرها، يمكن الرجوع إلى:

ـ **المرجع نفسه**، ص ٤٥١ـ ٤٥٣.

(١٠) في قطاع غزة تشكلت «**الجبهة الوطنية المتحدة**»، كائتلاف ضم «**البعث**»، و«**الشيوعي**»، و«**ج.ت.ف**»، ومستقلين، غداة الاحتلال الإسرائيلي لقطاع غزة، وأصدرت الجبهة صحيفة سرية أسبوعية، حملت اسم «**المقاومة**»، وفي نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٦٧ صدرت

«الجماهير» السرية غير الدورية عن «طلائع المقاومة الشعبية»، التي كانت لفرع «**حركة القوميين العرب**» في قطاع غزة، وأصدقائهم. وفي الضفة صدرت شهرية «**الوطن**» السرية عن «**جبهة القوى الوطنية**».

(١١) أسعد الأسعد، **الثقافة الفلسطينية في مواجهة الاحتلال: الصحافة**، دمشق، منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة الثقافة، د.ت، ص٢٠.

(١٢) عيسى الشعيبي، صحف الضفة الغربية، **شؤون فلسطينية**، (بيروت)، العدد ٢٦، تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٧٣، ص ١٩٠ ـ ١٩٨.

(١٣) دوف شينار، داني روبنشتاين، **الصحافة تحت الاحتلال/ الأبعاد السياسية**، ط١، ترجمة د. كمال أبو سماحة، عمان، دار الكرمل، ١٩٨٨، ص١٢.

(١٤) الأسعد، **مرجع سبق ذكره**، ص٢١ ـ ٢٤.

(١٥) **المرجع نفسه**، الصفحة نفسها.

(١٦) روبنشتاين، **مرجع سبق ذكره**، ص٢٢.

(١٧) **المرجع نفسه**، ص١٧.

ـ الشعيبي، مرجع سبق ذكره.

ـ محمد خليل الفقيه، **بيبلوغرافيا المؤسسات الصحفية في الأراضي المحتلة**، تشرين الأول/ أكتوبر، القدس، رابطة الصحفيين العرب، ١٩٨٧، ص٤.

(١٨) **المرجع نفسه**، ص٦.

ـ الشعيبي، **مرجع سبق ذكره**.

ـ ياسين، الموسوعة....، **مرجع سبق ذكره**، مجلد ٤، ص٤٦٢.

(١٩) الفقيه، **مرجع سبق ذكره**، ص ٢١.

(٢٠) **المرجع نفسه**، ص ٣، ٤، ١٣، ٢١.

(٢١) **المرجع نفسه**، الصفحات نفسها.

(٢٢) **المرجع نفسه**، ص ٨.

(٢٣) **المرجع نفسه**، ص١٦.

(٢٤) ياسين، الموسوعة....، **مرجع سبق ذكره**، مجلد ٤، ص٤٦٣.

(٢٥) الفقيه، **مرجع سبق ذكره**، ص٦.

(٢٦) **المرجع نفسه**، ص ٥، ١٠.

(٢٧) لمزيد من الاطلاع على ما تعرضت له تلك الصحف من مصادرة، ومنع من التوزيع، وسحب تراخيص، يمكن الرجوع إلى:
ـ **المرجع نفسه**، ص ٥ ـ ٢٣.

(٢٨) علي الخليل، الصحافة الفلسطينية تحت الاحتلال الإسرائيلي، شهدة في التجربة، **صامد الاقتصادي**، (عمان)، العدد ١٠٢، تشرين الأول (أكتوبر) - تشرين الثاني (نوفمبر) ـ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٥، ص ٨٥ ـ ٩٤.

(٢٩) **المرجع نفسه**.

(٣٠) انظر نص «قانون المطبوعات والنشر» في:

ـ منى أسعد، **التشريعات الصحافية في فلسطين**، القاهرة، اتحاد الصحفيين العرب، ١٩٩٦، الملحق السادس، ص٢٢٣ ـ ١٤٣.
ـ **صامد الاقتصادي**، (عمان)، العدد ١٠٢، تشرين الأول (أكتوبر) ـ تشرين الثاني (نوفمبر) ـ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٥، ص٢٦٣ ـ ٢٧٥.

(٣١) أسعد، **مرجع سبق ذكره**، ص٩٤.

(٣٢) **المرجع نفسه**، ص ٩٤ ـ ٩٥.

(٣٣) المحامي إبراهيم أبو رحمة، ملاحظات حول قانون المطبوعات والنشر لسلطة الحكم الذاتي الفلسطيني، **صامد الاقتصادي**، (عمان)، العدد ١٠٣، كانون الثاني (يناير) - شباط (فبراير) ـ آذار (مارس)، ١٩٩٦، ص ١٨٤ ـ ١٩٨.

الباب
الرابع

مبدعون